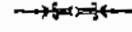


للتاريخ السياسي

أسباب التسليم

للدكتور يوسف هيكل



في ميونيخ هزمت الديمقراطية ألم انهزام ، وانتصرت الدكتاتورية أعظم انتصار . غسرت فرنسا وبريطانيا نفوذها السياسي ، وتضعف مركزها الدولي ، وانتقلت السيادة الأوربية ، في هذه الأيام على الأمل ، من يدها إلى يدي المرهتلر والستور موسوليني . لذلك تمت اتفاق ميونيخ بأنه « اتفاق الذل والهزيمة » ووصف بأنه « الحد الفاصل بين عالين » . فما هي العوامل التي أرغمت فرنسا على قبول هذا الانهزام ؟ وما هي الأسباب التي دعت المستر تشمبرلين إلى التسليم لمشيئة المرهتلر ؟ .

على أثر اتفاق ميونيخ ثار الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ساخطاً على فرنسا ، ومتهماً إياها بالخيانة ، وملقياً عليها مسؤولية ما أصابه من انهزام وذل وفقر ، وما أصاب بلاده من تمزيق وضعف . وأصبح الشعب التشيكوسلوفاكي ينفذ الحكومة الفرنسية ، صديقه الحميم ، بغضاً لا مزيد عليه . حتى أن الفلواهر الفرنسية ، من مؤسسات علمية وطائرات وسيارات ، في تشيكوسلوفاكيا ، التي كانت قبل اتفاق ميونيخ تثير احترام الشعب التشيكوسلوفاكي لفرنسا وإعجابها بها ، أُنحِت بعد اتفاق « الذل والهزيمة » تثير البغض للحكومة باريس والحقد عليها . وعمل الشعب التشيكوسلوفاكي وحكومته على الابتعاد عن فرنسا ، وقطع الصلة بها ، وطمس آثارها في بلاده . ولتحقيق ذلك أبدلت البلديات أسماء الشوارع الفرنسية بأسماء تشيكية وألمانية ، وألغت حكومة براغ تدرسي اللغة الفرنسية في مدارسها كلفة إجبارية ، واستعاضت عنها باللغة الألمانية ، وقطعت عن المعاهد العلمية الفرنسية في بلادها ما كانت تقدمه لها من مساعدات مالية . واستبدلت دور السينما التشيكوسلوفاكية بالأفلام الفرنسية أفلاماً ألمانية ...

فهل كان الرأي العام التشيكوسلوفاكي مصيباً في اعتقاده خيانة فرنسا له ؟

مناشدة المشكلة التشيكوسلوفاكية ورجال الحكم في باريس يعلنون أن فرنسا ستقف بجانب حليفتها . ولتأكيد ذلك أُنحِت

الحكومة الفرنسية ، حين اشتداد الأزمة السياسية بين برلين وبراغ ، إجراءات حرية واسعة المدى . وكان كل شيء ، النية والعزم والعمل ، يدل على أن الحكومة الفرنسية جادة في قولها ، لا تود ترك حليفتها تذهب ضحية اعتداء ألماني . وكان ذلك رأى الجيش في فرنسا أيضاً ، إذ أن رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي ختم التقرير الذي قدمه لحكومته بقوله : « إن الصعوبات كثيرة ولكن يجب أن نحشى »

7 وبينما كانت فرنسا جادة في استعداداتها الحربية للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا ، أعلمتها وزارة خارجية انكلترا أن آلاف الرسائل التي تلقاها المستر تشمبرلين من سائر أنحاء الممالك المتحدة ، تحم عليه إنقاذ السلم على أي حال ، وأنه يعتبر ذلك دليلاً على أن الرأي العام البريطاني غير مستعد لخوض غمار الحرب من أجل تشيكوسلوفاكيا . فأدركت الحكومة الفرنسية أنها لن تستطيع الاعتماد على الحكومة الإنكليزية ، وأن ثباتها قد يكون مقاسرة خاسرة . ووجدت نفسها في آخر الساعة في ظروف لا تمكنها من الإصغاء إلى رأى الجنرال كلانان ، فاضطرت إلى التسليم ، وإلى أن تسير مع انكلترا موافقة على ما عزم عليه المستر تشمبرلين . لأن القوى الفرنسية وحدها ، مع عظم أهميتها ، لا تستطيع مقاومة القوى الهائلة التأهبة للحرب في بلاد الدكتاتورية

وأما سياسة حكومة لندن ، وتصريحات رجالها فكانت تدل على أن الحكومة البريطانية لا تريد الوقوف بجانب حكومة براغ ، مدافعة عن حقوقها ، وصادة التوسع الألماني في أوروبا الوسطى . بل كانت هذه السياسة ، وهذه التصريحات دالة على أن حكومة لندن عازمة على عدم خوض غمار الحرب ، وعلى تسوية النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي بأى ثمن كان ، تلافياً للحرب ، على رغم ما في ذلك من انهزام شنيع وأخطار فادحة لها وحليفتها فرنسا

لم يضح المستر تشمبرلين في ميونيخ بما أوجدت السياسة الفرنسية خلال عشرين عاماً من قوى دفاعية فعالة ضد الاعتداء الألماني ، ولم يمكن رئيس وزارة انكلترا ، المرهتلر من السيطرة على أوروبا بتسليمه بمطالبه في تشيكوسلوفاكيا ، حباً في السلام فقط ، بل هناك أسباب قاهرة دعت إلى هذا التسليم . وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين : الأول منهما يتعلق بمسائل حرية ، والثاني يتصل بعوامل نفسية نفعية

والرحف بجيش عظيم مدرب نحو الجنوب ، والانقراض على هنع كنع وسنفاورة ومقاطعات مالاي والهند واستراليا ، وضربها ضربة قاسية بسرعة لا تدع مجالاً للدفاع عنها .

وقد أدرك المستر تشمبرلن أن الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا المأزق ، وإبطال الخطة اليابانية ، فيا لو وقعت الحرب ، هو إقناع الولايات المتحدة بإرسال أسطولها إلى المحيط الباسيفيكي ليكون رادعاً لليابان عما تبني الإقدام عليه . غير أن الولايات المتحدة أظهرت حينئذ أنها لا تريد الدول عن خطة الحياد ، والابتعاد عن المشاكل الأوربية .

ويريد بعض الكتاب السياسيين تليل تسليم بريطانيا وفرنسا في مونيخ ، إلى اعتقادها أن روسيا لم تكن عازمة على دخول الحرب بجانبها ، بل إن غرضها كان إيقاد نار الحرب دون أن تصطلي بظاها ، رغبة منها في إشعال لهب الثورة . وهذا القول خال من الصحة ، لأنه إذا غضضنا النظر عن تصريحات المسؤولين في موسكو بزمهم على تنفيذ واجباتهم نحو تشيكوسلوفاكيا إذا قامت فرنسا بواجباتها نحوها ، نرى أن مصلحة روسيا كانت تقضي عليها بدخول الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، لضمان انتصار الدول الديمقراطية ضد الدول الدكتاتورية . أما تمكين الدول الدكتاتورية من الانتصار على بريطانيا وفرنسا فعناه هيمنة ألمانيا التامة على أوربا . ومعناه أيضاً فسخ المجال للجيش الألمانية للهجوم على بلاد الروس وتمزيقها ، وتحقيق منهاج المر هتلر من زرع أوكرانيا وغيرها من المقاطعات الروسية وصمها إلى الريخ أما العوامل النفسية الضخمة التي ساعدت على التسليم في مؤتمر مونيخ ، فمنها أن الرأي العام البريطاني في الممالك المتحدة وفي الملكات البريطانية كان ضد الحرب ، لا جأ في السلم فحسب ، بل اعتقاداً منه أن الحلاف بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا لا يمس بريطانيا وممتلكاتها ولا يؤثر على مصالحها . . . ومنها أن رئيس وزارة انكلترا المستر تشمبرلن ، شيخ جليل ، يعتقد إمكان التفاهم مع الدول الدكتاتورية ، ويجب السلام الأوربي ، ويرغب في تحقيقه بأي ثمن كان . . .

أمام هذه الوضعية الحربية التي تخد من خوض غمار حرب أوربية ، وإزاء هذه النفسية التي ترغب في اجتنابها ، اضطرت الحكومة الإنكليزية إلى عدم المتابعة في حرب أوربية . وقام

إن الدولة الكبرى الوحيدة التي تزعت فعلاً سلاحها فيما بعد الحرب العظمى هي بريطانيا العظمى . ويرجع ذلك إلى سياسة حزب العمال ، الذي كان رأسه المستر رمسي مكدونالد . وكان المستر مكدونالد يأمل أن تحذو الدول الكبرى حذو بلاده فتزرع سلاحها غير أن أمه لم يتحقق ، ففرنسا لم توافق على زرع سلاحها لأنها كانت واثقة أن في زرعها خطراً على سلامتها وخطراً على أوربا أيضاً ، لأن الدول الأخرى لن تزرع سلاحها . وبالفعل فإن إيطاليا الموشولينية أخذت تبذل كل قواها في التسلح على أنواعه ، وتبعها في هذه الخطة ألمانيا هتلرية . فأصبحت أعظم الدول الأوربية تسليحاً . فسياسة زرع السلاح العملي التي سار عليها المستر رمسي مكدونالد في انكلترا أدت إلى إضعاف بريطانيا العظمى حريياً ، وإلى تشجيع الدول الدكتاتورية على التسلح العظيم ورغم أن بريطانيا العظمى قد ابتدأت في التسلح منذ أن تسلمت الحكومة القومية إدارة سياسة البلاد فأصبح لا يستهان بقوى سلاحها ، فإنها لا تزال غير متسلحة التسلح الكافي الذي يمكنها من خوض غمار الحرب

وزيادة على ذلك فإن مدنها وسواحلها خالية من التحصين ضد الغارات الجوية . فهذه المدن وهذه السواحل تكون مدفاً لغارات الطائرات الألمانية ، فيا لو نشبت الحرب العالمية من جراء المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وتوقع غارات العدو فيها أضراراً فادحة . . . ثم إن الحالة في المستعمرات الإنكليزية غير هادئة ؛ وكانت حكومة لندن تخشى أن تحدث اضطرابات في بعضها ، وتشب نار الثورة في الآخر ، إن هي اشتبكت في حرب أوربية فتصبح هذه المستعمرات سبب ضعف لها ، بدلاً من أن تكون عامل قوة

وبينا كانت الوزارة البريطانية في وسط معمة الأزمة التشيكوسلوفاكية ، أبلغت دائرة استخباراتها المستر تشمبرلن سرا أن الحكومة اليابانية متأهبة لاجتياح الأملاك الإنكليزية في الشرق الأقصى حال اشتباك القوى الإنكليزية والفرنسية في حرب مع ألمانيا . ولهذا الغاية كانت اليابان قد أقت القسم الأعظم من أسطولها بمغزل عن الحرب الصينية . وهو ، في تلك المياه ، يضارع في القوة أسطول انكلترا أو الولايات المتحدة . وكانت اليابان تفكر في إيقاف حربها الصينية ، حين وقوف حرب أوربية تشترك فيها بريطانيا ، وإبقاء أقل من نصف مليون من الجنود في القسم الذي افتتحه من الصين للمحافظة عليه ،